# قضية الوحدة العربية
# في فكر الأستاذ ميشيل عفلق


**الدكتور عثمان سعدي**

الجزائر

**المهندس نقولا فرزلي**

لبنان






منشورات الطليعة
تونس
1993





# قضية الوحدة العربية في فكر ميشيل عفلق

* د. عثمان سعدي

بعد تفكير طويل توصلت الى ان افضل اسلوب للكتابة عن رجل منظر مثل ميشيل عفلق هو ان اتركه يتكلم ، اي ان اقوم بتنظيم الافكار التي ارى ضرورة ابرازها ، من خلال جمع نصوص من كتاباته وتنظيمهاوعرضها . وهذا اراه الاسلوب الامثل في البحث ، لانه يبرز شخصية المفكر موضوع الدراسة وهو المهم . اما الباحث فان دوره في هذا النوع من البحث يكون مخفياً أي في الظل ، وهو المطلوب . ويخطىء الكثير من الباحثين عندما يقحمون شخصية الباحث ويبرزونها على حساب شخصية المفكر موضوع البحث .

والاستاذ ميشيل من نوع المفكرين الواضحين ، يكتب باسلوب واضح ومباشر بعيد عن الغموض . يملك من الايمان والشجاعة ما يجعله لا يلجأ الى الرمز أو التلميح . لم يغير موقفه من القضايا التي اعتمدها من فكره طوال حياته . سلك خطاً واحداً لم يحد عنه قيد انملة . فهو لايحتاج من الباحث الى ان يكثر من تدخله لالتماس الاعذار والتبريرات بمواقف اعتراها التبدل ، او التفسيرات لافكار لابسها الغموض او ظللتها الرموز .

في هذا المحيط يدور هذا البحث عن الاستاذ ميشيل عفلق الذي شغل ساحة الفكر القومي طوال نصف قرن ، وترك ذكرى طيبة لدى الناس ، احبه اتباعه واستمروا في حبهم ، واحترمه خصومه واستمروا في احترامهم له الى ان غادر دنيانا .

ان اساس فكر الاستاذ ميشيل عفلق منذ بدأ يمارس العمل السياسي ـ هو فكرة وحدة الامة العربية ، فكتاباته ، وسلوكه ، وتحركه السياسي ، وعلاقاته بالناس العاديين ، وعلاقاته بالجماعات : سياسية كانت أم اجتماعية ، كانت كلها ترتكز على فكرة الوحدة . فهو يؤمن بأن كل نظرة مهما كان الهدف الذي تصوب له لابد ان تؤسس

* مفكر سياسي جزائري





على فكرة الوحدة ، التي يعتبرها مسلمة غير قابلة للنقاش . وكيف تكون قابلة للنقاش فكرة تستهدف لم شتات العرب وتجمع شعوب الامة العربية في كيان واحد ، هذه الامة التي كانت مصدر الرسالات الانسانية التي وجهت البشرية ، وشذبت من خشونتها ، وهذبت من طباعها .

فكل قضايا الحياة العربية وفي سائر الحقول الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، لابد وان ترتكز في تصورها والبحث عن حلول لمسائلها ، على مسلمة الوحدة . يقول : « كل نظرة ومعالجة لمشاكل العرب الحيوية في اجزائها ومجموعها لاتصدر عن هذه المسلمة : (وحدة الامة العربية) تكون نظرة خاطئة ومعالجة ضارة »[١] .

ويعرف فكرة الوحدة باسلوب شمولي بعيد عن النظرة الجزئية الضيقة ، او الظاهرية السطحية ، فيرى الوحدة المنشودة ليست الوحدة السياسية التي توحد بين كيانات سياسية ، او انظمة حكم ومن فوق وعلى مستوى قمم المسؤولية ، وانما المنشود هو الوحدة القومية التي تؤسس الكيان الواحد من القاعدة ، ومن الاساس ، والتي تتناول سائر حقول الحياة الملتصقة بالناس ، بهمومهم ومصالحهم ، لان الوحدة السياسية هي حصيلة عمليات تتم قبلها او تأتي نتيجة لها . يقول : « ان الوحدة المفقودة هي الوحدة القومية وليست الوحدة السياسية لان الوحدة السياسية نتيجة »[٢] .

ويعرف الوحدة بأنها ثورة تأتي لتغير الواقع السيء فتطلق الطاقات الحبيسة والامكانات المعطلة ، يقول : «الوحدة ثورة تأتي لتزيل التشويه وتغير الواقع ، وتكشف عن الاعماق ، وتطلق القوى الحبيسة والنظرة السليمة»[٣] .

والواقع الذي تغيره الوحدة واقع موروث عن عصور التخلف والتفكك ، فقد العرب في اثنائها سيادتهم ، كما عاشت اقطارهم مجزأة وتخلت عنهم في اثنائها ملكة الابداع والحس الحضاري ، وتحولوا الى جمع يعيش عالة على حضارة الاخرين ، يقول : «تعرفون بأن البلاد العربية طرأ عليها منذ قرون تفكك وانحلال ، ولسنا بحاجة الآن للرجوع الى التاريخ .. فقد عاش العرب مئات السنين مجزأين سياسياً ، وفقدوا في كثير من اقطارهم سيادتهم ، والابداع ، ملكة الابداع ، ملكة التقدم والحضارة . اي ان المجتمع صار ينحل شيئاً فشيئاً ويعيش عالة على غيره ، على حضارة الاخرين ، او على بقايا حضارته القديمة»[٤] .

ويحلل الاستاذ ميشيل عفلق واقع التجزئة الاسود الذي وصل اليه العرب بعد قرون من العهود المظلمة في تاريخهم ، فقد صار كل قطر ينظر الى التجزئة على انها هي الأساس والاساسي وان الوحدة والتجمع هي الفروع ، والجزئي ، يقول : «هذا معناه ان

كل قطر بشخصيته الخاصة ومشاكله الخاصة ، هو الاصل والاساس . وانه في الفروع في النتائج .. في أمور سطحية ليست عميقة يمكن ان يلتقي مع الاقطار كلها أو بعضها»[٥] .

وصارت التجزئة تمثل خطراً على كل ما هو منطقي وسليم في الحياة العربية . فالمستعمر خلقها ، لكنها صارت هي تخلق متفرعاتها من قوة ومصالح تبث الحياة في شرايين هذه التجزئة . يقول : «لكن التجزئة لم يقتصر الامر على ان المستعمر خلقها ، بل اصبحت تخلق نفسها بنفسها فيما بعد ، تخلق قوى ومصالح وزعامات وعقليات معينة وعواطف معينة ، تنفخ الروح وتبث الدم والحياة في هذه التجزئة المخزية المصطنعة»[٦] .

والقوى المستعمرة تجد في الانفصال والتجزئة مايخدم مآربها ، فتعمل على ابقائها بل وتشترط بقاءها وتقرن أي استقلال ـ توافق عليه لقطر من الاقطار ـ بأن يأتي ملازماً للانفصال : «قبل ان يسلم المستعمر الاستقلال يسحب من البلد حيويته ويشترط الانفصال ، وهذا ما حدث في السودان وسورية ولبنان»[٧] .

والوحدة ليست الغاء للجوانب الايجابية الاقليمية ، انها ليست جمعاً مفتعلًا وعاطفياً ، يربط بين الاجزاء ربطاً تعاونياً تضامنياً وكفى ، وانما هي عملية متفاعلة تنبعث من داخل الجزء كضرورة حيوية لتطوير هذا الجزء من ذاته . انها لاتلغي شخصية القطر بل تفجر الطاقات المبدعة الخلاقة فيه وتبعث الاصالة الكامنة او النائمة في مكنونه ، انها عملية بث الحياة في الجزء ووضعه في الكل كعنصر فاعل ومتفاعل على صعيد من الجدلية حي . يقول : «اذن فلا يجوز ان نتصور الوحدة كعملية جمع منفعل لانها ليست وحدة لأجزاء سليمة ، ولا نتيجة لتجزئة حديثة طارئة . انها فاعلة خلاقة فيما بين الاجزاء وفي داخل كل جزء ، وهي منبعثة من داخل كل جزء كضرورة حيوية لهذا الجزء نفسه ، قبل ان تكون مطروحة بشكل علاقة الاجزاء للتعاون والتضامن . الوحدة لاتفقد الجزء شخصيته ، بل تؤكدها وتعمقها وتعطيها حقيقتها واصالتها وابداعها عندما تضع الجزء في مكانه الحي كجزء من كل»[٨] .

وليس كل موجود بالواقع الاقليمي جديراً بالبقاء ، كما انه ليس كل موجود بهذا الواقع لابد وان يزول ويلغى . يقول : «الخصائص الاقليمية فيها الزائف السلبي الذي ليس هو الا نتيجة لانعدام الوحدة . فليس كل شيء في واقعنا جديراً بالبقاء لمجرد انه موجود . اما السليم الايجابي فهو الذي يغني الوحدة ويأتلف معها بل هو شرط لوجودها»[٩] .

لكن الوحدة التي تحافظ على الايجابي في الجزء لأنه عنصر غني وثروة في موجوداتها ، تتجنب ان تتحول الى نسيج يجمع السلبيات ويضعها في اطار الوحدة .







بل لابد وان تكون نسيجاً جديداً خيوطه العناصر الايجابية بالجزء ، متفاعلة وموضوعة في محيط جديد شمولي . يقول : «الوحدة الحقيقية لاتكون تشابهاً في السلبي : ان يتشابه الجمع بالتأخر ، وبالجمود ، وبالامراض . الوحدة الحقيقية هي وحدة ايجابية ، ان يتشابهوا بالعمل ، بالقدرة على العمل والانتاج ، ان يتشابهوا بنظرة دائمة مبدعة للحياة تتجدد دوماً وتوحي لهم بالاعمال المستمرة في شتى الميادين»(١٠) .

وسلبيات التجزئة ، وأمراض الانفصال ، وعيوب الحكومات القطرية تجمعها كلها في نظر الاستاذ ميشيل جامعة الدول العربية . يرى سنة ١٩٤٦ ـ أي سنة بعد تأسيس الجامعة ـ انها ليست طريقاً تؤدي الى الوحدة ، بل يراها وجدت لتكون عقبة امام أي سبيل للوحدة الحقة . وان ميثاقها يجسم كل هذا . يقول : «فالواقع الذي يتضح يوماً بعد يوم هو ان الجامعة ليست خطوة في طريق الوحدة العربية ، بل عثرة . ان ميثاق الجامعة صورة ناقصة ومشوهة لأماني العرب الحقيقية في الوحدة»(١١) .

ولا ينتظر من الجامعة ان يكون دورها الوحدوي اكثر مما جاء ، لان الحكومات التي أسستها لها نفس الموقف من الوحدة . فهو يرى في نفس السنة ان الحكومات العربية عاجزة حتى عن بلوغ الحدود التي رسمتها لها القوى الاجنبية لتحركها ، لانها غير قادرة على انجاز حتى الاعمال التي لا يمانع الاجنبي في ان تقوم بها . يقول : «لكننا في وضعنا الحاضر نرى الحكومات العربية تقصر حتى عن بلوغ الحدود التي يضعها الاجنبي لنشاطها ، وتعجز حتى عن استعمال الصلاحيات التي لا يستطيع الاجنبي ان ينكرها عليها او يجادلها فيها»(١٢) .

ولم يغير الاستاذ ميشيل رأيه في الجامعة ، فنراه يتكلم عنها بعد عشر سنوات ـ أي في سنة ١٩٥٦ ـ بنفس اللغة ونفس التقييم . فهي ستار يحمي الاقليمية ، وتترعرع تحت مظلتها التجزئة . وهو الذي يريده الاستعمار بالوطن العربي ، يقول : «وهكذا تكون الجامعة ستاراً حامياً للتجزئة ، للتفرقة ، للتباين ، في ظله تنمو التجزئة في أمان ، وهذا ما يريده الاستعمار لنا : بأن نصل الى زمن نتناكر فيه ، ينكر بعضنا البعض الاخر ، وينادي كل جزء بشخصيته الخاصة التي لا يمكن ان يتنازل عنها ، ونعيش في تناحر وتنافس»(١٣) .

وبعد عشر سنوات اخرى ـ أي في سنة ١٩٦٢ ـ يعبر عن نفس الرأي بالجامعة فيعلن ان مهمتها كانت ـ منذ ان تأسست ـ مزدوجة ، المحافظة على التجزئة وعلى الرجعية . يقول : «منذ ان تأسست الجامعة سنة ١٩٤٥ كانت مهمتها مزدوجة ، محافظة على التجزئة الراهنة ... ومحافظة على الاوضاع الداخلية الرجعية»(١٤) .





ويعلن في نفس السنة ان موقف حكومة عربية واحدة اقوى واكثر فعالية من موقف الجامعة نفسها . يقول : «كان انفراد حكومة عربية في اتخاذ موقف قومي ، اقوى من دول الجامعة كلها ومن اجماعها»[١٥] .

**البعد الانساني للوحدة :**

راجت تهم حول الفكر القومي العربي بأنه فكر عنصري عرقي ، قياساً على الفكر القومي باوربا وبخاصة في القرنين الاخيرين ، وما شابه من تعصب عنصري عرقي . وقد تبلور هذا الاتجاه القومي الاوربي في العقد الثاني والثالث من قرننا في النازية بالمانيا ، والفاشية بايطاليا . وقبل اربعة عشر قرناً حدد محمد (ﷺ) ملامح الانتماء العربي تحديداً أبعد ما يكون عن العرقية والعنصرية ، فقد قال (ﷺ) : «ليست العربية فيكم بأب ولا أم وانما هي في اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي» . فمضمون العروبة عند أشرف المرسلين ليست دماً يجري في العروق ، ولا نسباً يشد الانسان الى جد أو جدود ، وانما هي مكونات ثقافية أهم عامل فيها هو اللغة . اذن فالمضمون السليم للقومية عرفه العرب عندما كان الانسان الاوروبي لازال يعيش في عهود التوحش والبربرية . ومن يتهم القومية العربية بالعنصرية فهو جاهل بالتراث العربي ، وجاهل بالاسلام الذي أبرز مقومات الامة العربية والعروبة الى الوجود .

فالامة العربية هي اكبر امة في عصرنا تعاني من الظلم والقهر ، ولا تستطيع ابداً ان تواجه هذا الظلم وان تهزمه الا اذا ناضلت بالمعاني الانسانيةوببعدها الانساني ، وبخلفيتها التاريخية الانسانية التي يشهد عليها تاريخها الحافل : يقول : «فالامة العربية ضحية اضخم ظلم عرفه هذا العصر ، ولا يمكنها ان تحارب ظلماً بهذا الحجم التاريخي وان تتغلب عليه ، الا اذا عمقت نضالها حتى يلامس جذور انسانيتها ، ويلتقي بكل نضال انساني»[١٦] .

فمطلب العرب ، لدى ميشيل عفلق ، هو تحقيق وحدة امتهم حتى تعود الى استئناف تأدية رسالتها التي أدتها مدة قرون . يقول : «ان مطلبنا ببساطة هو ان تعود الامة العربية للمساهمة من جديد في الحضارة الانسانية»[١٧] .

والوحدة المنشودة لها وجه شعبي نهضوي ، يستهدف تقدم الجماهير الشعبية العربية ، التي تحمل اعباء الكفاح من أجل تحقيقها ، بمعاناة وآلام تبعد العربي عن أي شعور تعصبي عنصري غير انساني . يقول : « اذن فالوحدة في السنوات الأخيرة تظهر بوجهها الصحيح الصريح ، وجه تقدمي انساني ، لأن جماهير الشعب هي التي تحمل نضال الوحدة ، وهي التي تغذي هذا النضال بتضحياتها ، وآلامها ، وقد تخرج صورة الوحدة من الآلام والتجارب التي ابعدتها نهائياً عن كل تعصب وكل تفرقة ، مادام نضالها قائماً ضد التعصب والاستعمار»[١٨] .





وانتصار الوحدة العربية في نظر ميشيل عفلق يأتي مؤكداً لثوريتها ، لأن القومية العربية ثورة قومية وانسانية تتجاوز في تأثيرها نطاق الوطن العربي ، لانها ترتكز على معنى التحرر في داخل هذا الوطن وفي خارجه من أجل تقدم الشعب العربي وشعوب العالم : «ان هذا الظفر الاول للوحدة العربية يجيء دليلًا لا على ثورية الوحدة فحسب بل على ثورية القومية العربية في اتجاهها الجديد . وثورة القومية العربية ليست ثورة قومية بل انسانية ، لانها ثورة القومية بمعناها الايجابي العميق الخلاق ، معنى التحرر في الداخل وفي الخارج ، والتقدم لشعبنا ولجميع الشعوب»[١٩] .

ويلفت ميشيل عفلق الانتباه الى ان الوحدة العربية تتقدم في مسار يجعلها لا يمكن ان تقع في الامراض التي وقعت فيها الوحدة الالمانية التي تحققت في القرن الماضي على يد بسمارك ، أقوى ممثل للرجعية الالمانية ، الذي رسم الطريق لأمته في اتجاه القهر ومناهضة الحرية في داخل المانيا وخارجها . يقول : «في منتصف القرن الماضي كانت المانيا لاتزال مجزأة وكان موضوع الوحدة يفرق بين شمالها وجنوبها ، لأن الشمال كان يضم دولة بروسية الكثيفة العدد ذات المجتمع الاقطاعي العسكري الرجعي ، بينما كان الجنوب يضم دويلات تفشت فيها مبادىء الثورة الفرنسية وظهرت الافكار الاشتراكية ، لذا كانت تخشى الوحدة لأن الوحدة تعني بالنسبة اليها خضوعاً للرجعية البروسية ، وضياع حرياتها الديمقراطية وآمالها في التقدم الاجتماعي . ولكن الشعور القومي كان أقوى من هذه المخاوف . وتحققت الوحدة الالمانية على يد بسمارك رجل بروسيا وأقوى ممثل للرجعية الالمانية السياسية والاجتماعية . وتحدد من ذلك الحين مصير المانيا في اتجاه السيطرة ومعاداة الحرية في الداخل والخارج معاً . كل هذا يحول بين الرجعية العربية وبين ان تقوم بالدور الذي اضطلعت به الرجعية الالمانية ، ويفرض عليها اما ان تتخلى عن جميع امتيازاتها واما ان تعادي الوحدة وتستميت في الدفاع عن التجزئة»[٢٠] .

ويؤكد الاستاذ ميشيل ويلح دائماً على ان الوحدة عملية تحرر وبناء ، وانها في صف الحرية وضد الاستعمار ومع التقدم ، وضد الرجعية . هي نضال من أجل الحرية عربياً وعالمياً : « ان الوحدة عملية تحرر وخلق وبناء ، وانها لا تكون ممكنة الا بمقدار ما ينضج الانقسام بين الحرية والاستعمار ، والتقدم والرجعية ، وبمقدار ما يوحد نضال الشعب ضد الاستعمار والرجعية ، ليس في نطاق الوطن العربي فحسب ، بل على النطاق العالمي أيضاً»[٢١] .

والوحدة العربية تتحقق بامكانيات الامة الذاتية ، وليس بالاعتماد على قوى خارجية ولو كانت هذه صديقة . يقول : « فلو خير العرب بين ان يحققوا أهدافهم في الحرية والوحدة والنهضة بأسرع وقت ممكن بفضل انحيازهم الى المعسكر الشرقي ،

وبين ان يتابعوا ثورتهم باسلوبهم المستقل المستلهم من ظروفهم وحاجاتهم ونظرتهم الى الحياة والانسان ، ولو كلفهم ذلك تأخير تحقيق هذه الاهداف بضع سنين او اكثر ، لفضلوا الطريق الطويلة مقابل حرصهم على بعض القيم الاساسية »[٢٢] .





## طريق الوحدة :

الوحدة ـ كما يراها ميشيل عفلق ـ تتحقق عن طريق النضال ، في سبيل التحرر من الاستعمار ومن آثاره وذلك من أجل بناء مجتمع عادل وحر . يقول سنة ١٩٥٧ : « ففكرة الوحدة ونضالها في الطريق السليم ، لأن هذا النضال قد اقترن بصورة نهائية وكلية بالنضال في سبيل التحرر من الاستعمار وفي سبيل بناء مجتمع ديمقراطي اشتراكي عادل »[٢٣] .

الوحدة لا تتحقق الا من خلال ثورة جماهيرية ، وتبدو لنا مستحيلة التحقيق عن غير طريق هذه الثورة ، والثورة لا تقوم بها الا الجماهير الكادحة الصابرة ، التي تعبر بمشعلها الحدود وتفرضها على الجميع . يقول سنة ١٩٧٤ : « الوحدة العربية تبدو أمراً بديهياً ولكن دون تحقيقها الصعاب ، وتكاد تبدو من ناحية اخرى كأنها مستحيلة ، ولكن عندما تقوم الثورات على يد الجماهير الكادحة ذات النفس الطويل والحيوية المتجددة ... فان مثل هذه الثورة تجتاز الحدود وتصبح كالنار في الهشيم ، وتخلق التيار الشعبي التاريخي الجارف الذي يصنع الوحدة العربية »[٢٤] .

ويلح الاستاذ كثيراً على ان الوحدة تتحقق عن طريق الانقلاب . والانقلاب المقصود ليس الانقلاب المادي وانما هو الروحي الذي يهز كيان الذات العربية ، فالعلاقة بين فكرة الوحدة والانقلاب علاقة جدلية ، هي بالتربية والتوعية تخلق الانقلاب الذي يحقق بدوره الوحدة . وهذا يتعارض مع الرأي القائل : لننتظر صلاح أوضاع الاقطار الذي يولد التجمع العربي والوحدة . ففكرة الوحدة هي التي تعد المناخ للوحدة وتوجد الانسان العربي المؤمن القادر على تحقيقها . يقول : « فالوحدة العربية في نظرنا اذن هي نتيجة الانقلاب الروحي في المجتمع العربي ، وهي أيضاً في نفس الوقت سبب من أسباب هذا الانقلاب ، هي نتيجة له ، ولكن بحد ذاتها يمكن ان تكون دافعاً مثيراً من دوافع الانقلاب ، لذلك لم نقل مع القائلين : لنسع اولا الى اصلاح حال كل قطر ، فبعد ان تصلح أحوالُ هذه الاقطار عندها نجتمع »[٢٥] .

ويوضح اكثر فيشير الى ان المقصود هو الذي يتجاوز العمل السياسي الى ما هو ابعد واعمق كالفكر والروح والتربية . فالطريق للوحدة هي «الحل الانقلابي البعثي» وذلك من أجل القضاء على الفجوة التي أوجدتها قرون الانفصال بين الامة وبين الحياة نفسها ، ومن أجل تصحيح التشويه الذي أوجدته . الانقلاب هو الذي يخلق الشفافية





بين الامة وبين متطلبات الحياة نفسها . يقول : « ان حل قضية الوحدة هو رهن بتحقيق انقلاب بالمعنى العميق لا ينحصر بالسياسة وانما يتناول الفكر والروح والتربية الاجتماعية والاوضاع الاقتصادية . والسياسة في نظرنا هي التعبير عن موقفنا الانقلابي في جميع هذه الاوضاع والحالات ... فعندما نقول ان الحل الصحيح لقضيتنا القومية ، هو الحل الانقلابي البعثي ، فان ذلك يعني بصورة بسيطة ان الحالة التي وصل اليها العرب منذ قرون عديدة ... أحدثت خللا وتشويها عميقاً جداً في بنيان الامة ، وتباعداً بين شعور الامة العربية وبين الحياة نفسها ، فلم تعد امتنا ـ بالتالي ـ تستجيب لدواعي الحياة الاستجابة السليمة ، فالانقلاب هو المحاولة لإعادة الاستجابة السليمة الشفافة بين الامة وبين متطلبات الحياة »[٢٦] .

والفئة الحاملة لبذور الانقلاب ، الناشرة لها هي الطليعة العربية المؤمنة بالوحدة . يقول : « فالانقلاب العربي ليس هو الذي يتحقق عندما يتسلم حزب انقلابي الحكم في البلاد العربية كلها . الانقلاب العربي يبدأ في نفس اللحظة منذ ان تتكون فكرة الانقلاب في اذهان الطليعة »[٢٧] .

والوحدة ليست عملًا يستهدف تجميع العرب وتأسيس الكيان العربي الواحد فحسب ، وانما لابد لهذا الكيان ان يكون له مضمون . ومضمونه التحرر ضد التبعية ، والتقدمية ضد الرجعية ، مضمونه المصالح الاجتماعية للجماهير الكادحة . يقول : « فالوحدة اصبحت بالبداهة مرادفة للتحرر لأن الاستعمار لا يخشى شيئاً كخشيته لها ، كما ان الوحدة اصبحت مرادفة للتقدمية في الداخل ، لان الرجعية التي تستسلم للاستعمار وتتحالف معه ضد مطالب الشعب الاجتماعية ، لا تستطيع الا ان تكون مع الاستعمار ايضاً في مقاومته لتيار الوحدة »[٢٨] .

فالوحدة هي عمل ديناميكي « ضد الاستعمار وضد الطغيان الداخلي ، وهي تعبير عن النضال ضد الاستغلال الطبقي وضد التأخر والجمود الفكري »[٢٩] .

وصاحبة المصلحة في الوحدة هي الجماهير ، اذن فهي وحدها القادرة على تحقيقها ، يعبر عن ذلك المؤلف باسلوب جميل رائع . يقول سنة ١٩٥٥ : « فهل غير الجماهير العربية من يخرج قدر العروبة الى الهواء الطلق ، ويعيد اتصاله بحرارة الحياة وبنبضات التاريخ ، ويطهره بآلام الملايين من المظلومين ، ويغنيه بعديد الآمال المكبوتة والطاقات المدخرة منذ قرون ؟. وهل يمكن ان تكون يقظة الجماهير العربية الا يقظة الروح والضمير والجد والرجولة والعقل المتحرر المبدع والشخصية المستقلة المنتجة »[٣٠] .

ومعاني الحرية والاشتراكية والوحدة في ظل التجزئة غيرها في ظل الوحدة ، فلابد من حزب طلائعي يرفع لواءها ويعمل على تطبيقها بمنظور شمولي عربي . اما





الاحزاب الاقليمية فغير قادرةعلى تحقيق هذه المبادىء . يقول : « ان الحرية التي يطلبها حزب مصري او لبناني ، والاشتراكية التي يعمل لها حزب عراقي او سوري ، هما غير الحرية والاشتراكية اللتين تحتاجهما وتقدر على تحقيقهما الامة العربية ، كأمة ذات تراث حضاري واستعدادات وامكانات نهضة جدية واصيلة » .

ان الانقلاب الذي يعنيه هذا المفكر القومي ليس تحقيق الوحدة دفعة واحدة ويعصا سحرية ، أبدا ، فالمقصود هو ايجاد انقلاب في الذات العربية بالتوعية والتربية . لكن تحقيق الوحدة في نظره لايكون مرة واحدة وانما يأتي على مراحل . يقول : « ونسارع الى القول بأننا لا نذهب الى ان الوحدة العربية ستتم دفعة واحدة ، بل ان الطبيعي والمعقول ان تتم على مراحل ، ونحن نقول بهذه النظرة ، نظرة المراحل ، ونعمل بها ولها : فالاتحاد بين قطرين أو ثلاثة هو مرحلة يجب ان تنصب عليها جهودنا ، حتى تثمر وهي بدورها ستسهل الوصول الى مرحلة اعلى الى توحيد اوسع وأبعد »[٣١] .

## تجربة الوحدة المصرية السورية :

لعل أكبر امتحان اعترض فكر ميشيل عفلق الوحدوي هو تجربة الوحدة السورية المصرية ونهايتها المؤسفة التي أسفرت عن نكسة الانفصال . لنستعرض ما كان يقوله في السنوات التي سبقت الوحدة وبالتحديد في سنتي ١٩٥٦ و١٩٥٧ . فقد كان يشعر ان جوانب سلبية كبيرة تكتنف هذه التجربة ولم يكن يخفي خوفه من خطورتها عليها ، كتب سنة ١٩٥٦ يقول : « نريد ان تكون عناصر الحياة في هذه الوحدة الصغرى غالبة على عناصر الجمود والتناحر والشكليات الخادعة ، وان تحقق هذه الوحدة توحيداً فعلياً خلاقاً بين أجزاء الشعب الواحد في مصر وسوريا »[٣٢] .

والى جانب السلبيات التي تهدد التجربة . يرى الاستاذ ميشيل ان الشروط متوفرة لنجاحها فسورية لها أسبقية في الدعوة للوحدة والعمل من اجل تحقيقها والتنظير لفكرتها . ومصر كنظام هي أكثر تحرراً واستقلالًا ازاء الضغوط الاستعمارية ، واكثر تجاوباً مع طموحات الجماهير ، تؤهلها كلها الى ان تكون اكثر تجاوباً مع دواعي الوحدة . يقول في نفس السنة : « بالرغم من أسبقية سورية في الدعوة الزمنية للوحدة العربية فان شروط مصر اليوم من حيث كونها اكثر تحرراً واستقلالًا حيال نفوذ الاستعمار وضغطه ، واكثر استجابة لحاجات الشعب الاجتماعية ، تجعلها اكثر استجابة لمطلب الوحدة القومية وحاجة الشعب لها »[٣٣] .

وهما البلدان المرشحان للتوحد والمؤهلان لخوض غمار هذه التجربة بسبب توفر

وصمد ميشيل عفلق في كتاباته امام نكسة تجربة الوحدة ، لم يفتر ايمانه بل راح يرد على اعداء الوحدة الذين استغلوا هذه العثرة للنيل من مبدأ الوحدة نفسه . انطلق اولا يدافع عن موقف حزب البعث من صنع التجربة ، وهو يقصد اقامة كيان يضمن ان يسترد العرب ـ من خلاله ـ ثقتهم في انفسهم التي تحاول الأبواق الاستعمارية النيل منها . وان يتعمق عملياً ايمانهم بمصيرهم الوحدوي المحتوم ، يقول : « كان حزب البعث يفكر ويصرح بأن قصده من وراء تحقيق أول خطوة للوحدة العربية هو ان يرجع الى العرب جميعاً ثقتهم بفكرة الوحدة وقابليتها للتحقيق ، وان يجعل من دولة الوحدة الاولى سنداً وقاعدة للنضال العربي في كل جزء من أجزاء الوطن الكبير »[٤٠] .

كان البعث يهدف بالتجربة الى « ان تكون ضمانة لانتصار ثورة الجزائر وبداية لتحرير فلسطين »[٤١] . ويدحض كل رأي يقول بأن حزب البعث دعم تجربة الوحدة بدافع الخوف من خطر خارجي كان يتهدد سورية . فيقول : « لم يدفع الحزب الى التخطيط للوحدة بين سورية ومصر أي دافع سلبي ، وأي خوف من خطر خارجي وداخلي مزعوم . يكفي للتدليل على ايجابيته انه طرح شعار الوحدة بين سورية ومصر منذ عيد الجلاء في نيسان ١٩٥٦ »[٤٢] .

ويرى ان ابراز الاخطاء التي أودت بأول تجربة للوحدة ليس القصد منه التجريح ، وانما استخلاص الدروس التي تصحح مسار التجربة الوحدوية وتثريها معاً ، يقول : « ونحن عندما نشير الى تلك الاخطاء التي وقع فيها نظام الحكم في عهد الوحدة انما نقصد ان تدخل معرفتها في تجربتنا القومية لنصححها ونغنيها »[٤٣] .

ويتحدث بمرارة عن استغلال القوى الاستعمارية والرجعية للانفصال لضرب هدف عربي وهو الوحدة والتشكيك في سلامته وجدواه . يقول في تموز ١٩٦٢ : « فالقوى الاستعمارية والرجعية والشعوبية التي عملت منذ اليوم الاول للوحدة على تهديم الوحدة ، وجدت في الانفصال الذي غذته فرصة العمل لها ، تغتنم ما فيه من يأس وتشتت وفقدان للتنظيم الشعبي ، وتتخذه مناسبة نادرة لتسديد ضربتها وسط بحران الشعب وضياع أهداف المعركة »[٤٤] . والتشفي لم يأت من القوى الاستعمارية والرجعية فقط ، وانما جاء من طرف التيار التقدمي اللاقومي ، يقول : « المسألة اذن مسألة صحة الاتجاه القومي التقدمي ، مسألة بقائه كحركة وحدوية ثورية في وجه الاتجاه التقدمي اللاقومي » .

ويكتب في تموز سنة ١٩٦٢ عن الموقف الذي ينبغي على القيادات ان تتخذه ازاء أزمة الانفصال وما ولدته من أضرار ، فتخرج ـ ان كانت مخلصة لمسؤولياتها التاريخية ـ بالموقف السليم الصحيح . يقول : « واليوم ونحن في سبيل معالجة هذه الاضرار والآفات الجسيمة التي خلقها الاسلوب البوليسي نجد انفسنا امام احد موقفين ، فاما ان تعتبر هذه القيادات نفسها طبقة وتنظر بالتالي الى معالجة أمراض







تجربة الوحدة من خلال انانيتها ، وعند ذاك تعزل نفسها عن الشعب ، واما ان تعتبر هذه القيادات نفسها ممثلة للحركة الشعبية والاتجاه القومي التقدمي ، وعند ذاك تخرج بالموقف السليم الصحيح »[٤٥] . فهو يطلب من القيادات السياسية المسؤولة عن فشل تجربة الوحدة ان تتحمل مسؤوليتها وتعالج التجربة بالكف عن الاساليب التي اودت بالتجربة ، واتباع الاسلوب الانجع الكفيل باسترداد الثقة بالوحدة والعمل لها بخطة توصلها الى شاطىء السلامة . « لأن التآمر على الوحدة هو بالدرجة الاولى تآمر على الاشتراكية ، والعودة الى المنطق القطري هو بالدرجة الاولى عودة الى المنطق الرجعي الرأسمالي »[٤٦] .

ولعل افضل ما نختتم به هذا الفصل هو هذا النص الذي يمثل ايمان ميشيل عفلق بالوحدة الذي لا يتزعزع امام المحن والهزات ، والذي لم تؤثر فيه التقلبات والمؤامرات . يقول في ايلول ١٩٦٢ : « ولقد أتت انتكاسة تجربة الوحدة لتؤكد ان منطق الوحدة هو المنطق الصحيح ، وبالتالي اذا كانت هناك أمان وأوهام لدى الرجعية في ان تستغل انتكاسة تلك التجربة للوحدة بالرجوع لمنطق الكيانات ، والمحافظة على الاوضاع الرجعية فهذا وهم وتضليل ، لأن الوعي الشعبي أقوى من أن تصمد أمامه مثل هذه المحاولات .. الشعب العربي يطلب تصحيح التجربة لا الغائها »[٤٧] .

لقد سبق لميشيل عفلق ان حدد معالم النظرة الصحيحة الى الوحدة قبل تجربة الوحدة بسنة كاملة . فقد كتب في سنة ١٩٥٧ مايلي :

« النظرة الصحيحة الى الوحدة ـ في اعتقادي ـ هي ان يكون اساس النهضة العربية الجديدة ، اساس الانقلاب العربي المنشود ، قائماً على المبدأ الذي لا يجوز التفريط فيه او التهاون فيه : بأن العرب امة واحدة ، وبأنهم في أي جزء من أجزائهم ، وفي أي مشكلة تعترض أي جزء يجب ان يشعروا اويفكروا او يعملوا بهذا الواقع ، بهذا التصور ، بأنهم ان يكونوا عملياً غير موحدين فأنهم روحياً موحدون ، وانهم يعالجون مشاكلهم على اساس انهم سائرون نحو الوحدة ويعملون لها بجد ونضال .. »[٤٨] .

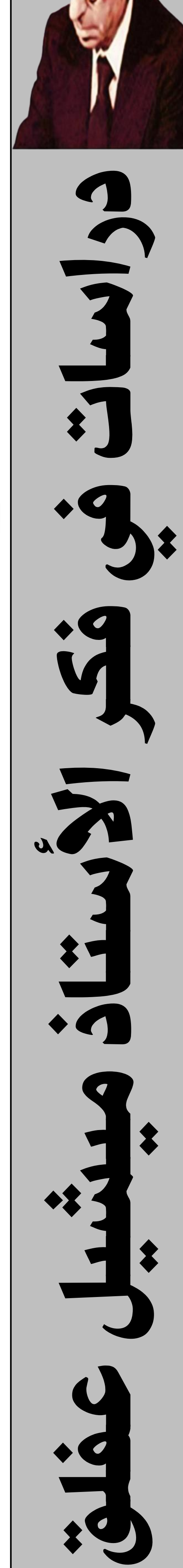
لم يعش رجل لقضية الوحدة العربية مثلما عاش ميشيل عفلق . فقد وهبها حياته كلها . كان من المؤمنين الأشداء العنيدين . كان في طليعة الرواد الذين بلوروا ـ منذ بداية العقد الرابع ـ الفكر القومي بصورة عامة ، وقضية الوحدة العربية على الخصوص ، وأخرجوهما من الغموض واللبس والضبابية ، ونقلوهما من مجرد ردود فعل الى فكر منظم بملامح محددة ، وحدود واضحة . واستمر يؤدي رسالته دون ان يعتريه الوهن او يتسرب اليه الملل . ترك وراءه أعمالًا فكرية هائلة شاهدة على نضاله الطويل الغني ، كما ترك وراءه عدداً هائلًا من تلاميذ فكره المنتشرين بالوطن العربي مشرقاً ومغرباً . تغمده الله برحمته وأفاد الاجيال العربية بفكره .





## هوامش البحث :

(١) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٦٦
(٢) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٠
(٣) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٦
(٤) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ٢٠٩
(٥) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٢
(٦) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢٦٥
(٧) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٧
(٨) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢٤٨
(٩) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢٤٧ – ٢٤٨
(١٠) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٠
(١١) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٦٤
(١٢) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٦٤
(١٣) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٣
(١٤) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٤٦
(١٥) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٤٨
(١٦) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٧٣
(١٧) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٨٤
(١٨) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢١
(١٩) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢١
(٢٠) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٠٦
(٢١) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢١٧
(٢٢) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٢٧
(٢٣) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٠٥
(٢٤) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٠٠
(٢٥) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١١
(٢٦) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٧٦–١٧٧
(٢٧) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٨١
(٢٨) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٠٧
(٢٩) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٠٢
(٣٠) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٧٤
(٣١) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٨٣
(٣٢) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٨٧
(٣٣) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٩٢
(٣٤) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٩٧
(٣٥) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ١٩٥
(٣٦) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢١٨
(٣٧) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢١٦
(٣٨) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٠٠
(٣٩) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢١
(٤٠) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢٦
(٤١) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢٧
(٤٢) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢٩
(٤٣) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٢٧
(٤٤) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٣٥
(٤٥) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٤٤
(٤٦) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٤٩
(٤٧) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ٢ ص ٢٥٠
(٤٨) في سبيل البعث : الاعمال السياسية الكاملة : ميشيل عفلق ج ١ ص ٢١٣




# الوحدة العربية في فكر الاستاذ ميشيل عفلق



* نقولا الفرزلي

في مطلع هذا القرن كانت الحياة العربية تشهد صراعاً بين محورين : عالم قديم يوشك ان ينطوي ويطوي معه صفحات مظلمة حفلت بالمظالم والمآسي وحاول طمس الشخصية العربية وتشويه تراثها وحضارتها ، وعالم جديد يتقدم حاملاً معه مطامعه وتاريخه الحافل بالغزوات والفتن والحروب ، المتطلع ايضاً الى القضاء على الشخصية العربية وتغريبها وافنائها .

عالمان يصطرعان والانسان العربي يقع بينهما كمن يقع بين حجري رحى : عالم السلطنة العثمانية المتقهقر المعرض للهزيمة والزوال وعالم الغرب الاستعماري المتقدم ليرث تركة الرجل المريض ويبسط هيمنته على وطننا العربي الكبير.

في هذا الجو المتلبد بغيوم الازمة التي انفجرت بعد سنوات اربع حرباً كونية اولى ولد الطفل ميشيل عفلق في حي الميدان الدمشقي العريق وفيه ترعرع ووعى الدنيا لأول مرة على اعلان الثورة العربية الاولى بقيادة الشريف حسين وشاهد بعينيه تجسد الحلم العزيز بحكم الامير العربي الملك فيصل الاول في دمشق ، وعاش النشوة القومية النادرة التي اطلقها هذا الحدث الجلل . كما عاش الجو الفكري والنفسي الذي سبق ورافق الثورة السورية عام ١٩٢٥ على المحتل الفرنسي ، التي وصفها بالفترة الخالدة من تاريخ سورية والتي نشأت في اجوائها النقية الصافية البذور الاولى للبعث ، بذور الثورة على الاستعمار وطغيانه ومن أجل استقلال الوطن وكرامته ، ومن اجل العروبة وشرف الانتساب اليها ومن اجل تحرير كل الارض العربية في مشرق الوطن ومغربه .

---

• كاتب وسياسي لبناني





على ان الاهم من ذلك بالنسبة الى بذور فكرة البعث ، على حد تعبير قائده ومؤسسه ، التي كانت ارض سورية العربية موطنها الاول هو ان تلك الفترة الملأى باخبار الجهاد والبطولة والاستشهاد ، القوية التأثير في حياة الشعب وحياة الافراد كانت بداية لقاءين حاسمين في اثرهما العميق : لقاء مع الفكر العلمي العقلاني التحرري الحديث ، ولقاء مع الاسلام العربي ورسوله الكريم ، لقاء الحب والاعجاب والانتماء الحميم ، وكان ذلك كله قدر عمر بكامله ، وقدر حركة قومية اصيلة تاريخية .

في سن مبكرة دخل العنصر الذاتي مع العنصر الارادي في عملية نشوء الوعي وتطوره لدى مؤسس البعث . فالاجواء التي كانت سائدة بعد الحرب العالمية الاولى ، كان لها دون شك نصيب كبير في تكوين الاستاذ الفكري والنفسي ، لأنها كانت أجواء الوحدة الوطنية ، والهوية القومية المكتشفة حديثاً مع ما يرافق الاكتشاف من فرح وحماسة عبر عنهما الادباء والشعراء في مصر واقطار المشرق وايضاً ادباء المهجر ، كما عبر عنهما تتويج ملك عربي جاء من الحجاز وشارك في النضال ملكاً على سورية وفي دمشق وفي حضور رجال من جميع الاقطار العربية يمثلون بعواطفهم ونضالهم ايمانهم بالعروبة الخالصة . وعن هذه الفترة بالذات يقول المرحوم الاستاذ صلاح الدين البيطار رفيق ميشيل عفلق في بناء الحركة الثورية : ولا اذكرفرحة تدانيها طوال اربعين عاماً تقريباً الا فرحة يوم الوحدة التي قامت بين مصر وسورية في اوائل عام ١٩٥٨ .

وعن هذه الفترة الغنية الخصبة كذلك يقول الشهيد الاستاذ صلاح الدين البيطار ما حرفيته : عام ١٩٣٧ عاد المبعدون السوريون ابطال ثورة ١٩٢٥ الذين كانوا مشردين في مصر او الاردن ، مثل عبدالرحمن الشهبندر وحسن الحكيم وسلطان الاطرش بعد ان صدر العفو عنهم . بدأ الناس يتهافتون على الدكتور شهبندر ويزورونه ويدعونه الى اقامة حفلات في بيوتهم ، وكانوا قد صُدِموا باستئثار الكتلة الوطنية بالسلطة والحكم . وبدأ الشهبندر في صيف ١٩٣٧ يلبي دعوة رجال الاحياء لاقامة المهرجانات وسماع الخطب وكان الاقبال عظيماً من قبل جميع الشعب على حضور هذه المهرجانات في بيوت دمشق . كل يوم في حي . وكان محور الاجتماع الخطاب الذي سيلقيه الدكتور شهبندر . والدكتور شهبندر ، علاوة على انه كاتب وعالم وخطيب ، والكلام مايزال للمغفور له الاستاذ صلاح الدين البيطار ، الا انه كان في خطبه يتكلم لغة يفهمها الشعب ويعبر عما يخالج نفوسهم من مرارة وسخط ومعارضة للحكم . وكنا نخرج من هذه الاجتماعات مسحورين بل سكارى . وكانت كلماته حِكَماً يتداولها الناس مثل : «خير لنا ان نغرق متحدين من ان نعوم متفرقين . انا من الكتلة الوطنية

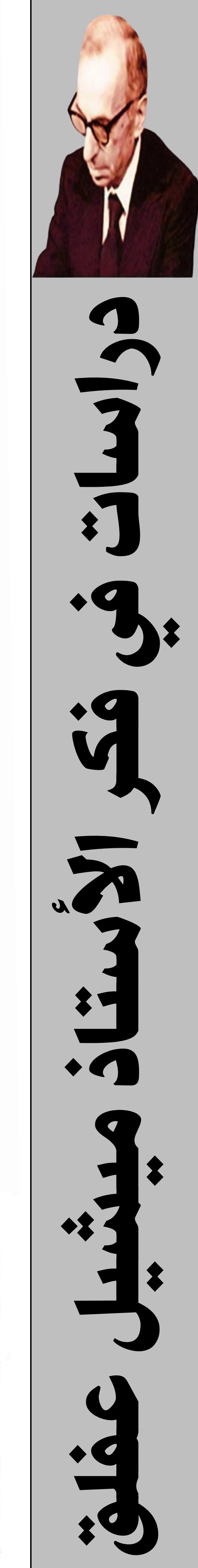
والانتماء الحميم ، وكان ذلك كله قدر عمر بكامله ، وقدر حركة قومية اصيلة تاريخية .

في سن مبكرة دخل العنصر الذاتي مع العنصر الارادي في عملية نشوء الوعي وتطوره لدى مؤسس البعث . فالاجواء التي كانت سائدة بعد الحرب العالمية الاولى ، كان لها دون شك نصيب كبير في تكوين الاستاذ الفكري والنفسي ، لأنها كانت أجواء الوحدة الوطنية ، والهوية القومية المكتشفة حديثاً مع ما يرافق الاكتشاف من فرح وحماسة عبر عنهما الادباء والشعراء في مصر واقطار المشرق وايضاً ادباء المهجر ، كما عبر عنهما تتويج ملك عربي جاء من الحجاز وشارك في النضال ملكاً على سورية وفي دمشق وفي حضور رجال من جميع الاقطار العربية يمثلون بعواطفهم ونضالهم ايمانهم بالعروبة الخالصة . وعن هذه الفترة بالذات يقول المرحوم الاستاذ صلاح الدين البيطار رفيق ميشيل عفلق في بناء الحركة الثورية : ولا اذكرفرحة تدانيها طوال اربعين عاماً تقريباً الا فرحة يوم الوحدة التي قامت بين مصر وسورية في اوائل عام ١٩٥٨ .

وعن هذه الفترة الغنية الخصبة كذلك يقول الشهيد الاستاذ صلاح الدين البيطار ما حرفيته : عام ١٩٣٧ عاد المبعدون السوريون ابطال ثورة ١٩٢٥ الذين كانوا مشردين في مصر او الاردن ، مثل عبدالرحمن الشهبندر وحسن الحكيم وسلطان الاطرش بعد ان صدر العفو عنهم . بدأ الناس يتهافتون على الدكتور شهبندر ويزورونه ويدعونه الى اقامة حفلات في بيوتهم ، وكانوا قد صُدِموا باستئثار الكتلة الوطنية بالسلطة والحكم . وبدأ الشهبندر في صيف ١٩٣٧ يلبي دعوة رجال الاحياء لاقامة المهرجانات وسماع الخطب وكان الاقبال عظيماً من قبل جميع الشعب على حضور هذه المهرجانات في بيوت دمشق . كل يوم في حي . وكإن محور الاجتماع الخطاب الذي سيلقيه الدكتور شهبندر . والدكتور شهبندر ، علاوة على انه كاتب وعالم وخطيب ، والكلام مايزال للمغفور له الاستاذ صلاح الدين البيطار ، الا انه كان في خطبه يتكلم لغة يفهمها الشعب ويعبر عما يخالج نفوسهم من مرارة وسخط ومعارضة للحكم . وكنا نخرج من هذه الاجتماعات مسحورين بل سكارى . وكانت كلماته حِكَماً يتداولها الناس مثل : «خير لنا ان نغرق متحدين من ان نعوم متفرقين . انا من الكتلة الوطنية ولكني لست من حزب الكتلة الوطنية» .

لقد تأثر الاستاذ ميشيل عفلق بهذا الرجل ، والكلام مايزال ايضاً للاستاذ البيطار ، فاكبر فيه الثقافة والعلم والفكر السياسي والوطنية الصادقة والقيادة السياسية والنظرة الحضارية في تلك المرحلة بالمقارنة مع جهل زعماء الكتلة الوطنية وجهالتهم واميتهم السياسية وانتهازيتهم .

بعد عودته نهائياً من مصر في اواخر عام ١٩٣٨ توثقت العلاقة بين الاستاذ ميشيل وبين الدكتور شهبندر فدعاه الاستاذ الى بيته بحضور الاستاذ صلاح وعدد من الاصدقاء ... تذاكروا بعد العشاء في امور البلاد . وكان ان استفحل غضب الشعب على حكم الكتلة الوطنية فقاموا بالمظاهرات حتى سقطت حكومة جميل مردم .







وفي ايار/مايو ١٩٤١ اعلن رشيد عالي الكيلاني ثورته في العراق على الانكليز. فقام الاستاذ ميشيل بالدعوة الى دعم الثورة وأسس حركة نصرة العراق. كانت هذه الحركة تجربة رائدة في الحقيقة. جسدت الحركة القومية العربية في العمل من جهة، بمساندة العراق فكراً ونشاطاً وتأييداً ومشاركة، وجسدت الفكرة بالعمل الذي بذل من أجل تحريك الفئات الوطنية في سورية ضد الانتداب الفرنسي اي الربط بين الحركة الثورية في العراق والنضال الوطني في سورية. وقد دعت بيانات الحزب الى عدّ تلك المعركة مخاضاً لبدء تاريخ جديد لأن العراق قام ليحرر نفسه ويوحد العرب.

اذاً فالفكر الوحدوي والعمل الوحدوي نشآ مترابطين في عقيدة البعث بل ولدا واضحين واستمرا متميزين في نضال الحزب الذي جسد الحركة وقاد ومازال يقود نضال الجماهير العربية الى اهدافها.

وليس ادل على القصد الوحدوي في موقف الحزب من ثورة العراق عام ١٩٤١ الا موقفه من احداث لبنان عام ١٩٤٣. ففي هذا العام الذي نال فيه لبنان استقلاله بعد ان سجن الاستعمار رئيس جمهوريته ورئيس حكومته وعددا اخر من زعمائه الوطنيين اصدر ميشيل عفلق وصلاح البيطار في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٣ بيانا ختماه بتأييد قرار مجلس النواب العراقي باجلاء القوات الفرنسية عن سورية ولبنان وبالشعار الذي قدر له ان يصبح في ما بعد شعارنا جميعاً امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.

وعندما اسفرت الدول الاستعمارية عن وجهها الغادر وكشفت الغطاء عن مؤامراتها المبيتة مع الصهيونية الغادرة ودخلت قضية فلسطين في مرحلة حاسمة دعا الحزب في الثاني من كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٧ الى تضامن جميع القوى الشعبية والحكومية في سبيل انقاذ فلسطين. وطالب بضرورة تنظيم الشعب وتسليحه وتسليح مجاهدي فلسطين. وانشاء فرق متطوعين من جميع الاقطار العربية؛ وطالب باتخاذ تدابير نفطية، من شأنها ان تهدد مصالح الغرب - والنفط عصبه الحيوي - فتمنعه، بالاضافة الى التدابير الاخرى، من الاستمرار في خطته في التقسيم.

وقد اكد الحزب في البيانات التي صدرت لاحقاً على اهمية الربط بين عملية انقاذ فلسطين وهدف الوحدة، عادّاً ان الخطر الذي يهدد العرب قاطبة في مأساة فلسطين، يهددهم في تبديد ذلك الحلم العظيم الذي لا معنى لحياة العرب الا في الجهاد في سبيله، وهو وحدة الامة العربية. وقد جسد عميد الحزب ورفاقه الفكرة بالمشاركة الفعلية في الجهود والجهاد في جبهة القتال وكانوا قدوة الشعب في الوعي والايمان، عادّين المعركة حداً فاصلًا في تاريخ العرب الحديث بين الظلم والظلام وعهد التحرر والبعث. فقضية تحرير فلسطين في نظر مؤسس البعث هي في الوقت نفسه، قضية تحرر الامة العربية ونهضتها ووحدتها .. وهي عندما تكون الموجه لسياسة الاقطار، ولنضال المناضلين، تصبح هي الوحدة. اي معركة الامة. لذلك كانت فلسطين طريق

الوحدة ، وكانت الوحدة طريق فلسطين .

ليست الوحدة نظما ولا هي مجرد دساتير . انها فكرة وعقيدة وايمان يتجسد في النضال الذي هو المضمون العملي الحي ويتكرس في الدساتير والقوانين والانظمة التي تُراعى وتُراعي حسب الظروف والاحوال . وفي هذا الاطار يمكن القول بثقة تامة ان الوحدة كانت الهدف الاول او الاهم للبعث منذ نشوئه ولاتزال هاجسه بل حبه الكبير اليوم وغداً .

الوحدة العربية حقيقة . اما الاشكال والصيغ ، فتلك مسألة تتبع . المهم ان العرب امة واحدة في الشعور العميق الايجابي الذي يتجاوز الانانيات والمشاغل الآنية والنفعية المتراكمة ، والنابع من احساس عميق برسالتهم في الحياة ومن لغة واحدة وعادات وتقاليد مشتركة ومصير واحد . وفي تحقيق الهدف يقول الاستاذ ميشيل عفلق : انه لايمكن تحقيق الوحدة العربية تحقيقاً جدياً ومتيناً صامداً للزمن الا اذا حدث انبعاث روحي في المجتمع العربي . اي ـ بكلمة مختصرة ـ الا اذا عاد العرب فشعروا بانهم لم يوجدوا عبثاً في الحياة ولم يوجدوا ليعيشوا على فضلة الاخرين . وليكونوا عبيداً للآخرين ، وليكونوا افرادا. وجماعات متنافرة تتنافس على المادة والنفع الحقير ، وانما وجدوا ـ ككل شعب ـ ليعطوا خير ما في نفوسهم وعقولهم ، ليعيدوا للحياة ما اعطتهم اياه ، ليعبروا أكمل تعبير عن انسانيتهم ، ليرتفعوا فوق المشاغل الحقيرة وفوق الانانية وفوق النظرة التي لاتؤمن بالقيم والخلود ، ليرتفعوا الى مستوى روحي يصهر نفوسهم من جديد وينسيهم خلافاتهم ويبدل ضعفهم قوة ليشعروا بأن عليهم مسؤولية جدية تامة بأن يحرروا انفسهم ليحرروا غيرهم ، وان يرتفعوا بانفسهم ، بمستوى معاشهم ، بنظام مجتمعهم ، ليستطيعوا فيما بعد ان يغنوا المجموع البشري بقدرتهم وكفاءاتهم ، لذلك تصورنا الوحدة تصوراً انقلابياً ثورياً . لم نتصورها تصوراً سياسياً بأنها جمعُ اعداد .. جمع كميات بعضها الى بعض ، لأن الاشياء الميتة اذا جمع بعضها الى بعض فلا تنتج حياة ، ولكن اذا حركنا الروح .. بعثنا الروح في هذا الشعب .. في هذا المجتمع ، عندها يكون الجمع مجدياً ومقوياً ، وعندها يكون الجمع ممكناً . اذ لا إمكان للتوحيد في حالة التأخر والجمود وهبوط الروح . انها وحدة الاسس والاعماق ، ليست مرهونة بالقوة المادية او بالقوة العسكرية بل بالنزوع الروحي ، بما هو أثمن من الانانية المحضة وفي سبيل الغاية المشتركة .

الشكل الوحدوي ، شكل الوحدة الدستوري او القانوني امر يأتي في المرتبة الثانية بعد النضال الوحدوي . المهم في نظر البعث ، في نظر رائد العروبة الحديثة هو النضال الموحد . فالوحدة العربية قبل ان تصل الى طور التحقيق السياسي والانشائي يجب ان تبنى في جو النضال .. في صميم النضال .. فعلى هذا الاساس وحدة الوطن

١٩٥٦ فان وحدة المغرب ايضاً لايمكن ان تتحقق الا في وحدة نضاله ، واية تجزئة لنضال المغرب ستمنع في المستقبل التوحيد السياسي والاقتصادي .

لقد كان المغرب العربي الكبير حاضراً دائماً في نضال البعث حياً في سلوكه . فثورة الجزائر في رأي الاستاذ ميشيل عفلق قد تحدت طموح العرب وايمانهم بقوميتهم ووحدتهم في كل قطر من اقطارهم . حددت لهم المستوى اللائق بامكانياتها العديدة التي لم يجرؤوا بعد على تفجيرها كلها واطلاقها من عقالها ، واحرجتهم في الاختيار بين التنازل عن ادعاءاتهم العريضة وبين ان يؤيدوها ويضمنوا جديتها بالبذل والعمل والجهاد ، ووضعتهم هذه الثورة أخيراً في موضع الخوف والخطر الجدي على البقاء ، وما على العرب الا ان يقاوموا الخوف بالجرأة ، والا ان يدفعوا الخطر بالتضامن ، تضامن الخائف على بقاء امته . وهذا ما فعله عبدالناصر ايضاً عندما امم القناة فأثار رعب الوحش الاستعماري وشهوته للدم ، وجعل بذلك العرب في شتى اقطارهم يعون تلك اللحظات الخصبة المبدعة ، لحظات الحياة الخطرة التي تُربي الشعوب وتصنع المعجزات . وكأني به اليوم يدعو العرب على لسان ابن البعث وقائده الرفيق صدام حسين الى ان يقاوموا الخوف بالجرأة والى ان يدفعوا الخطر بالتضامن ، تضامن الخائف على بقاء امته .

وفي وقت مبكر ، بل وفي كل وقت ، كانت الوحدة هي التي تعبر في نظر مؤسس البعث عن الصفة العربية الشاملة التي لها تقدم ورجحان معنوي يجب ان لايغفل عنه البعثيون لئلا ينساقوا مع تيارات فكرية وسياسية هي أبعد ما تكون عن فكر البعث العربي .

يقول الاستاذ ميشيل عفلق : «كان البعث عند تأسيسه في الاربعينات أول حزب اشتراكي في العالم العربي ومع ذلك لم يختر لنفسه اسم الحزب الاشتراكي . وقد اعطى للحرية الدور الاساسي في بعث الامة العربية ومع ذلك لم يتسم بالحزب الديمقراطي . ولئن كان قد تسمى بالبعث العربي فليس ذلك لانه اول حزب آمن بالوحدة العربية فكراً وعملًا ، وجعل تنظيمه على اساس عربي شامل ، فحسب ، بل لانه آمن منذ البدء ان كل نظرة ومعالجة لمشاكل العرب الحيوية في اجزائها ومجموعها لاتصدر عن هذه المسلمة : «وحدة الامة العربية» تكون نظرة خاطئة ومعالجة ضارة . ويخلص بالوصول الى هذه الحقيقة : «لايحقق الشعب العربي وحدة النضال ما لم يمارس نضال الوحدة .»

على ان الوحدة العربية في نظر البعث وفي فكر مؤسسه ليست صنما بل هي وسيلة لتحقيق رسالة الامة . وبالتالي يجب ان تظهر منذ الآن ملامح الامة العربية الجديدة ، التي يريدها البعث انسانية حرة ايجابية . ولكن البعث لم يذهب يوماً الى ان الوحدة العربية ستتم دفعة واحدة ، بل ان الطبيعي والمعقول ان تتم على مراحل . فالحزب وافق على مشروع الاتحاد بين العراق وسورية عام ١٩٤٩ ضمن شروط ، ثم





قاد وحقق وحدة سورية ومصر مع عبدالناصر عام ١٩٥٨ بعد مشاريع عديدة لمواثيق واتحادات شملت اكثر من قطر وغطت اكثر من ناحية سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية .

وفي معركة النضال من أجل وحدة مصر وسورية لم يكن هم البعث ان تكون وحدة ام اتحاداً بقدر ما كان همه ان يكون اساسها متيناً وطريقها سليماً يسير نحو النماء والتكامل ويوصل الى الوحدة العربية الشاملة . وبالرغم من اسبقية سورية الزمنية في الدعوة للوحدة العربية فان ظروف مصر ، آنذاك ، من حيث كونها اكثر تحرراً واستقلالاً حيال نفوذ الاستعمار وضغطه ، واكثر استجابة لحاجات الشعب الاجتماعية جعلتها اكثر استجابة لمطلب الوحدة القومية مما يعني ان الوحدة في نظر البعث اوفي نظر مؤسسه لم تكن قضية بعيدة عن أخذ الظروف الموضوعية في الحسبان عند العمل على تحقيق الحلم القومي الكبير.

لقد جاء الرد الشعبي العربي على نكبة عام ١٩٤٨ في فلسطين بقيام اول وحدة في العصر الحديث . وفي هذا يقول الاستاذ ميشيل عفلق : «فكان هذا الحدث الضخم مفاجأة وتنبيهاً للاستعمار والصهيونية ، استدعى ان يبدأ في محاربتهما لتيار الوحدة العربية ، مستوى جديداً يقوم على التخطيط الشامل والتآمر المتعدد الحلقات والاساليب . فقد استغلا جملة ثغرات في تطبيق وحدة ١٩٥٨ ، ونجحا في ضربها بمؤامرة الانفصال ، التي اعطت للتجزئة معنى جديداً ، فلم تعد حالة منفصلة واستمراراً لوضع راهن ، بل اصبح الانفصال ومايزال حالة هجومية عدوانية متحركة ، ولم تعد الامبريالية والصهيونية ترضيان من عملائهما ان يمتنعوا عن التوجه الى الوحدة ، بل يطلبان منهم الحرب على الوحدة والتهديد بالحرب .. فقد تركزت المخططات المعادية الداعمة للانفصال على الحيلولة دون تجدد اللقاء بين البعث وعبدالناصر وضرب كل امكانية لتجديد الوحدة بايقاع نكسة داخل تجربة البعث في سورية ، وفي داخل تجربة عبدالناصر ، واعداد بديل من داخلهما للانقضاض على دورهما القومي .. وعندئذ جاء طراز من الانظمة خلق حالة من التردي القطري والانحراف القومي والعودة الى التبعية بصيغ جديدة ، تتجاوز حدود التبعية السياسية الى الاستعانة بالمخططات الدولية ضد الروابط القومية ، وضد جماهير الشعب داخل القطر ، وبالعزلة القومية ..

وكما عدّ الاستاذ ميشيل عفلق وحدة ١٩٥٨ بين مصر وسورية الرد الشعبي العربي على نكبة ١٩٤٨ في فلسطين فقد عدّ ان الانتفاضة الفلسطينية الباسلة قد جمعت بين مقومين : المقوم الوطني المبني على الارتباط بالارض وبتاريخ النضال الفلسطيني . والمقوم العربي الذي يعبر عن الانتماء القومي وعن مكان فلسطين في



ميشيل عفلق ونضاله . وفي هذا يقول : «كان القطر السوري بحكم موقعه وتكوينه الاجتماعي وتفتحه قد لعب دوراً في انضاج المراحل الاولى من النهضة العربية . وعندما دخل هذا القطر معركته مع الاستعمار كان توجهه نحو الاستقلال جزءاً من تطلعه القومي الى الوحدة والنهضة . وكانت بدايات الحزب الاولى قد اقترنت بهذا النضال ضد الاستعمار ، وبهذا التطلع الوحدوي . ثم المرحلة الاستقلالية التي برز فيها دور البعث القيادي الذي استطاع بنضاله الفكري والسياسي والاجتماعي مع الشعب ان يعبر عن التطلعات العميقة لشعب سورية العربي ، وان يجعل من دور سورية القومي رائداً في تحقيق اول وحدة عربية في عصرنا بعد قرون من التجزئة وبالاشتراك مع قيادة البطل القومي جمال عبدالناصر .

لقد كان الارتباط دائماً واضحاً في ذهن الاستاذ ميشيل عفلق بين العروبة والاسلام وبين الوحدة والديمقراطية . وجاء خطابه في ذكرى تأسيس الحزب ، السابع من نيسان ١٩٨٨ ، يؤكد ان تحقيق الوحدة هو عمل شعبي نضالي لأن تصور البعث للوحدة هو تصور ديمقراطي ومنسجم مع تصوره الحضاري لبناء المجتمع والانسان .. فبغياب الديمقراطية تتعطل طاقات مخزونة في الشعب وتضمر روح النضال والتحدي ويتخلف الوعي وتهبط اهتمامات ابناء الشعب وتصبح الامور الحياتية والمعيشية هي الطاغية ، كما تنمو حالات مرضية بين الفئات المثقفة المتنورة فتعيش في ازدواجية على حساب قوة العطاء والابداع ، وعلى حساب وحدة الشخصية وانسجامها مع الاهداف العامة .

فالوحدة والديمقراطية نضال يتطلب حضور الجماهير الشعبية في ساحة العمل الوطني والقومي وممارستها دوراً أساسياً في بناء الحياة الجديدة والمجتمع الجديد ، وفي الدفاع عن الوطن والامة ومشاركتها في صنع كل القرارات المهمة والمصيرية . فالديمقراطية ضمانة كبرى لتنمية العوامل المسهلة للوصول الى الوحدة والتقريب بين الاقطار .. وان يكون الشعب هو المتسلم لمقدراته وهو الذي يشق طريق النهضة ويقاوم التسلط والاستبداد . كما يفضح التبعية للأجنبي والتآمر على الاستقلال وعلى مصير الامة ككل ، كما يفضح الاستغلال الطبقي ويقاوم الفساد ويسهر على الحريات ، ويدافع عن حقوق الانسان ، ويحرص على سلامة التوجه الوطني والقومي الملائم للنهضة والتقدم ، وعلى شخصية الامة وهويتها وصلتها بتراثها .. يحارب النزعات الشعوبية والمخططات الامبريالية ويدافع عن الرابطة القومية وينمي الوعي بوحدة الامة ووحدة مصيرها . فالديمقراطية شرط أساسي وحيوي من أجل النضال الوحدوي لانها تخلق مناخاً للتوعية والحوار والنضال الجماهيري .

واخيراً فالوحدة في رأي الاستاذ ميشيل عفلق هي بنت النصر . وقد كانت وحدة





سورية ومصر عام ١٩٥٨ ثمرة انتصار مصر الثورة قبل ذلك بعامين في معركة تأميم القناة وفي صد العدوان الثلاثي . كما كانت ثمرة انتصار حزب البعث على ديكتاتورية الشيشكلي قبل قيام الوحدة بأربع سنوات ، وانتقاله الى مركز قيادة الحركة الشعبية في سورية ، والمساهمة الفعالة في قيادة حركة النضال الوطني والقومي المتضامنة مع عبدالناصر والمتفاعلة معها في العديد من الاقطار الاخرى . وقد سارت سورية كلها وراء حزب البعث في تلك المواقف حتى اثمرت الوحدة .. فتحقيق اول وحدة تجاوزت العوامل الجغرافية ، وكانت برهانا عملياً على واقعية التطلعات الوحدوية ، اخذ في منظور البعث معنى الفرصة التاريخية لان تبدأالخطوة الاولى للدخول في عصر الوحدة . لذلك عندما استجاب الزعيم العربي الراحل جمال عبدالناصر الى نداء الوحدة الذي اطلقه البعث في ١٧ نيسان ١٩٥٦ ووضع البعث امام خيار حل الحزب في دولة الوحدة ، او لا وحدة ، اختار الوحدة لانه كان يخشى اضاعة الفرصة التاريخية التي سنحت ، برغم ما يعنيه ذلك بالنسبة له ، وهو الشريك في صنعها ، وبرغم ما كان يدركه وما اثبتته التجربة من ان التناقض بين الحزب والوحدة كان توهماً لا أساس له ، وان وجود الحزب هو من أهم ضمانات استمرار الوحدة وتطويرها وتعميقها .

ان الاصل والاساس في العمل الوحدوي كما يراه مؤسس البعث هو النضال الجماهيري والتحرك الشعبي .. هذا هو المبدأ وهو القانون الذي اثبتته تجارب السنوات الثلاثين الاخيرة والدروس المستنبطة منها بأن الضمانة لاستمرار الوحدة ونموها هي حركة الجماهير الشعبية . غير ان هذا لا يتعارض مع اية خطوات وحدوية على الصعيد الرسمي ، اذا توفرت لها بعض الظروف والصفات الايجابية التي تجعلها قادرة على تفهم تطلعات الجماهير ورغباتها وحاجاتها وقادرة ايضاً على ان تتجاوب معها في حدود ظروفها وامكاناتها .

وفي هذا الاطار عدّ الاستاذ ميشيل عفلق كحقيقة اولى حول مجلس التعاون العربي انه ابن النصر الذي حققه العراق والذي جاء ثمرة التفاعل بين الاقطار التي تجاوبت مع المعركة وشاركت فيها . فهذه المشاركة وهذا التجاوب شكلا أساساً معنوياً للقاء والتعاون وقاعدة شعبية في الوقت نفسه ، ذلك ان مشاركة هذه الاقطار للعراق اثناء الحرب لم تكن مقتصرة على الانظمة ، بل تعدتها الى قطاعات واسعة من الجماهير .

اما عن اتحاد اقطار المغرب فيرى مؤسس البعث انه يلتقي مع تطلع شعبي قديم لجماهير هذه الاقطار نحو وحدة المغرب العربي وتعزيز عوامل التقارب مع اقطار المشرق والتفاعل معها باتجاه الوحدة العربية الشاملة . ان التفاعل على المستويين الشعبي والرسمي ، هو الذي ينضج العملية التاريخية للوحدة العربية من جهة ، ويشكل





الضمانة الرئيسية لابعاد الخطوات الوحدوية في هذا الجزء من الوطن العربي او ذاك عن احتمالات العزلة والضيق من جهة ثانية .

ودائماً كما نلاحظ ان مصداقية هذه الخطوات الوحدوية في النظرية البعثية تكون في الانفتاح على الجماهير .. فالانظمة التي امتلكت القدرة على اتخاذ مبادرات على هذا المستوى ، يفترض فيها ايضاً الشجاعة في تطبيق الديمقراطية ، ودعم الخطوات الرسمية الغنية بالوعي القومي والاجتماعي الذي هو ثمرة المشاركة الجماهيرية .. فالمشكلات التي قد تنشأ عن عدم اكتمال الشروط لممارسة الديمقراطية ، اوعن الخلل في ممارستها يقابلها اضعاف اضعافها من الخير والعطاء والخلق واكتساب الفضائل التي لاتتفتح ولا تأخذ مداها الا في جو الحرية .

ان الصيغ التعاونية التي قامت في الوطن العربي مطالبة من قبل مؤسس البعث ان تبرهن باستمرار عن انفتاحها بعضها على بعض ، وان تؤكد حرصها على الوصول الى الهدف الاساسي الذي هو الوحدة الشاملة وليس الوحدات الجزئية ، اذ ان عدم انفتاحها بعضها على بعض ثقافياً واقتصادياً وسياسياً سيكون بالمقابل عقبة في طريق الوحدة حيث تنشأ المصالح والعادات وتتعمق الاقليمية ويصبح من العسير التغلب عليها .

لقد غادر الاستاذ ميشيل عفلق هذا العالم بعد ان قال كلمته الخالدة . وربما كان من الجائز ان نعدّ كلمته الوصية هي التي القاها في عيد تأسيس الحزب في السابع من نيسان ١٩٨٩ أي قبل وفاته بحوالي شهرين ونصف الشهر ، وهي على كل حال آخر ما سمعته الامة من كلامه الجليل : ان عنوان المرحلة التاريخية التي تبدأ الآن هو الديمقراطية والوحدة واعتبار الديمقراطية عملية انقاذ للامة كما هي الوحدة .. الموضوعان يجب ان يبقيا مقترنين : موضوع الوحدة وموضوع الديمقراطية وكأنهما شيء واحد لا نصل الى الوحدة بدون ديمقراطية أي بدون حركة الجماهير الواعية ولا نصل الى الديمقراطية بدون هدف قومي تحرري حضاري بمستوى هدف الوحدة .

هذا باختصار ، او ربما بدون تطويل ، هو عرض للوحدة العربية في فكر الاستاذ ميشيل عفلق ، الوحدة التي اصبحت سمة من سمات العصر ، رأيت ان افضل تقديم لها هو تقديمها بعبارات مؤسس البعث نفسه التي هي بدون شك خير مفصح عن فكره العميق ، تاركا لغيري مناقشة هذا الفكر ونقده وتحليله ، فأنا ، قبل وبعد ، لست ناقداً لفكر الاستاذ ميشيل عفلق بل انني به مؤمن .

موت الاحبة محنة قاسية في كل الظروف والاحوال . وموت العظماء محنة تاريخ . ولكن ميشيل عفلق لم يمت فهو حاضر بيننا دائماً بفكره وبالمثل الذي اعطاه بنضاله المخلص وبسلوكه المترفع النبيل . واذا أمكن لغصة الحزن في هذه الذكرى ان

دراسات في فكر الأستاذ ميشيل عفلق

تتحول الى فرحة غامرة بعودة الروح فلا شك انها كانت هناك عندما استقبلت الجماهير بكل جوارحها واعمق مشاعرها الرئيس البطل صدام حسين لدى دخوله قاعة المؤتمر العربي الشعبي الذي انعقد في بغداد للتضامن مع العراق ، وحضره وأسهم فيه قادة العمل السياسي والحزبي والفكري من الخليج الى المحيط .

## محاضرات مختارة من الندوة القومية حول فكر الأستاذ ميشيل عفلق

## بغداد 26/23 حزيران 1990

